تعبان من ذنبي

البداية

فضيلة الشيخ
هاني حلمي

www.Manhag.Net

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

ثم أما بعد؛

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا

وأن ينفعنا بما علمنا .. وأن يزيدنا علماً ينفعنا

اللهم تب علينا الآن توبة ترضى بها عنا،

اللهم تقبل توبتنا واغسل حوبتنا

وأجب دعوتنا وثبت حجتنا

واسلل سخائم صدورنا.

{.. رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً} [الكهف:10]

لا شك أنَّ الإنسان منا إذا أراد أن يجيب على أسئلة حائرة شائكة كثيرة تخص حاله الإيماني، حاله مع اللهِ تبارك وتعالى،

إذا أردت أن تجيب عن سؤال:

لماذا هذه الابتلاءات ؟ .. لماذا هذه الفتن؟

لماذا يتعثر حالي؟ .. لماذا يتقلب قلبي؟

لماذا لا أجد نفسي؟

هذه الأسئلة جميعها جوابها شيء واحد:

ابحث عن الذنب .. ابحث عن الذنب.

أين كنت كل هذه السنيـــــــن !!

في ليلة كانت كباقي الليالي، وربما لم تكن بالتأكيد كذلك بالنسبة لي.

قالت: كنتُ أتقلبُ في فراشي كثيرًا ولم أستطع النوم.

كنت خائفة كثيرًا ولم أعرف لماذا ؟

كانت الساعة الرابعة بعد منتصف الليل، وكان الخوف يسيطر عليّ تمامًا، وكل شيء كان مظلِمًا أمامي.

بدأتُ أقرأ ما أحفظ من سور القرآن، وقد حفظتُ كثيراً منها ولكن معظمه بل أكثره قد ضاع ونسيته مع قلة مراجعتي للقرآن.

هدأتُ قليلاً، ولكن الخوف لا يزال يلازمني.

أغمضتُ عيني، وجعلتُ أتذكر.

كان شريط حياتي كله يمر أمامي، أتذكر من طفولتي ما أتذكر وكيف بعد أن كَبُرتُ جعلتُ أتذكر ذنوبي الكثيرة. صلاتي التي غالبًا بل دائمًا ما كنتُ أؤديها بتكاسل شديد، بل أنقرُها كنقرِ الغراب.

تذكرتُ صديقتي التي كنتُ ألتقي معها التي كانت مثلي، كانت مثلي تلعبُ وتلهو، لم تفكر يومًا ما في الموت، ولا أنا. كيف أنها في يومٍ خرجت ثم عادت ولكنها عادت داخل صندوق!!.

الموت يأتي فجأة، والقبر صندوق العمل!

نعم ماتت، ماتت في حادث سيارة.

تذكرتُ نفسي لو أنه جاءني ملكُ الموت الآن ليقبضَ روحي فما عساي أفعل؟

ءأنا مُستعدة للموت؟ أعملتُ ما يكفيني؟

أتراني أكون من أهل الجنة أم أنا من أهل النار؟

بالتأكيد سأكون من أهل الجنة؟ بأي عملٍ أبلغ الجنة؟

بأي شيء تُكتب لي الجنة؟ والجنة سلعةُ اللهِ الغالية؟ ماذا فعلتُ لأكون من أهلها، ماذا قدمتُ لنفسي لأدخلها؟

تقول: هل أدخلها وأنا صاحبة غيبة ونميمة مع صديقاتي؟

هل أدخلها وأنا اليوم كنتُ أصرخُ في وجهِ أمي؟ هل أدخلها وأنا متبرجة في ملابسي؟

أم الأغاني والأفلام والبرامج المليئة بما يُغضِب الرحمن التي أُداوم على مشاهدتها.

سكتُ قليلاً ولكني بالتأكيد كنتُ أقولُ لنفسي أنا أفضل من غيري أنا لستُ بالمرأة السيئة،

تذكرتُ في هذه اللحظة تلك الفتيات الطاهرات العفيفات اللاتي كنتُ أُلاقيهن في المسجد.

كيف أنَّ الواحدة منهن مُستعدة أن تدفع حياتها ثمنًا ولا يُرى منها خصلة من شعرها.

فأين أنا منهن؟

قلتُ في نفسي ألي عهدٌ من الله أنه لن يتوفاني حتى أتوب؟ ألي من اللهِ عهد أني لن أموت الآن؟ أو غدًا؟

،أعطاني ربي عهدًا أنه سيغفر لي ويدخلني الجنة؟!!

قمتُ من مكاني وأنا خائفة مرعوبة، وفي عيني تجمدت الدموع، توضأت، وقمتُ أُصلّي وأنا أرتعدُ خوفًا وأثناء الصلاة فوجئتُ بنفسي حينما وجدتُ عيناي تُفيضان بالدموع، فلقد كانت المرة الأولى التي تبكي فيها عيناي خشيةً لله تبارك وتعالى.

نعم فقد كان كل بكائي من قبل على الدنيا، الآن أنا أبكي بحرقة، أبكي على ذنوبي، أبكي على معاصيّ، أبكي على نفسي، وأقول لنفسي، هل تحسبين أنما تصنعين هينًا

{وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ} [النور:15]

تقول بقيت ساجدة لوقتٍ طويل لم أشعر بنفسي.

الشيء الوحيد الذي شعرتُ به والذي أحسستُ به بالفعل أني بين يدي ربٍ عظيم، بين يدي خالقي ومُصوري، فصرتُ أدعوه وأستغفره كثيرًا وأحمده، أحسستُ بالفعل بلذة القرب من ربي القريب، والآن صارت نفسي تنكرُ نفسي، أنا الآن في حال لم أكن أعهدها من قبل، صرتُ أدعو بأدعية واللهِ ما علمتُ أنها بهذه اللذة وما علمتُ معانيها

من قبل، وبعد أن انتهيتُ من صلاتي سلمتُ، وبدأتُ أتذكر ما أتذكر من ذنوبي التي عملتها وبدأتُ أنظرُ إلى نفسي وأقول ما الذي جعلكِ يا يداي تتحركين؟ ما الذي جعلكِ يا عيناي تبصرين؟ ما الذي جعلكِ يا أذناي تنصتين لما لا يُرضي ربَّ العالمين؟

قلتُ لنفسي أين كنتِ كل هذه السنين؟ أين أنا؟ لماذا هذه الغفلة؟

كيف لم أشعر بربي من قبل؟

كيف لم أشعر أني لو قلتُ له ربي ناداني نعم يا أمتي، إن قلت له يا رب قال لك نعم يا عبد، إن تقربت إليه الشبر تقرَّب إليك الذراع، إن تقربت إليه الذراع تقربَّ منك الباع ، إن أتيته يمشي أتاك هرولة، رب يُبسط يده لك ليل نهار لتتوب له، يُبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

هل أحد منكم يدرك هذا المعنى؟

أتدرك لو أني مددتُ لك يدي هكذا، أتدرك لو أعطيتني ظهرك على مرأى ومسمع من هؤلاء الناس جميعًا؟ فماذا سيقولون عنك؟

قل لي ماذا يُقال عنك؟

إذا كان رب العزة – ولله المثل الأعلى- يبسط يده لك ليل نهار لتتوب؟

قل لي لو إنسان جاء لك، والدك صديقك، أحد عزيز عليك، وقال لك هل تريد شيء؟ هل تتمنى أي شيء أنفذه لك؟ اطلب تنل.

ماذا تقول؟

ربيعة بن كعب الأسلمي لما كان خادم للنبي ﷺ كان يحمل حذاء النبي ﷺ فذات مرة كان النبي ﷺ يريد أن يكافأه وقال له: يا ربيعة سلني. اطلب تنل.

قل لي لو أنت – على طريقة الأفلام- ظهر لك مصباح علاء الدين : اطلب تنل. ماذا ستطلب؟ شيء تطلبه ستأخذه.

فربيعة قال: فنظرتُ، مكثتُ أتأمل.

ماذا أقول له؟ أنا رجل مسكين وفقير أقول له يعطيني مال، أنا رجل غير متزوج ، أقول له يُزوجني. أنا رجل ليس لي حرفة أقول له يجد لي عملاً. ماذا أفعل؟

قال: أسألك، أسألك، أسألك مرافقتك في الجنة.

فقال له النبي ﷺ يا ربيعة من علمك هذا؟

من أين أتى بها؟ هذه أمنية عالية جدًا؟ وهو تعلمه من أين غير من مشكاة النبوة.

فقال يا ربيعة إني فاعل فأعنّي على نفسك بكثرة السجود.

هذا النبي ﷺ فما بال ربُّ العزة حينما يقول لك كل ليلة هل من سائل؟ هل من مستغفر؟ هل من تائب؟

ماذا سيكون جوابك ؟ هذا هو ربك، هذا هو سيدك، هذا هو مولاك، هذا هو قرة عينك، حبيب قلبك رب العاطين سبحانه.

تقول: أنا لم أكن أعرف، كيف كنت غافلة عنه كل هذه السنين؟ أنا شعرت حقًا ماذا يعني رب عظيم!

كيف لهذا الإنسان ألّا يشعر، ويكفر ولا يحمد ولا يصلي ولا يشكر؟

كيف يمهله، ويرزقه ويعطيه، ولا يكف عن إنعامه عليه ؟

كيف بعد ذلك يبارزه بالمعاصي؟

كيف لهذا الإنسان ألّا يقول لربه يا رب غفر لي ذنوبي كلها دقها وجلها علانيتها وسرها ما علمتُ منها وما لم أعلم، وكيف يكون شعورك ورب العالمين لا يغفر ويمحو فحسب وانتهى الأمر ويكون هذا فضل ونعمة، لا بل يبدل السيئة حسنة .. يااااه .

ءأتي له بذنوب كالجبال، جئتُ له وأنا مُخفِض الرأس ومستحي ومكسوف. هذه الذنوب ماذا سيفعل بها، فلو محاها لكان خير، يبدلها لي حسنات.

يا لكرمِ الكريم سبحانه.

أجب على سؤاله وهو يقول لك، ويقول لي، ويقول لنا كلنا {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار:6]

ما غرك بربك الكريم؟

{مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ * كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ}[الانفطار:6,9]

لو نصدق أنه هناك جنة ونار لن يكون هذا حالنا! ألا تتذكر كم من السنين ستعيش؟

أعمار أمة النبي محمد بين الستين والسبعين

ثم إلى أين المصير؟

{ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى} [العلق:8]

فكر فيما ما تريد أن تفكر فيه،

شارد مني في ماذا؟ في ماذا تفكر الآن؟ شارد في ماذا؟ فكر كيفما تريد، وابعد وتُه! نقطة المصير واحدة، نقطة النهاية واحدة {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى} [العلق:8]

{فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ} [التكوير:26] وبعد الموت، يأتي حياة البرزخ القبر، والقبر بيت الظلمة، بيت الوحشة بيت الدود، لا أنيس، لا جليس، لا ونيس

فمن ينير ظلمة ذلك القبر عليك؟ ومن يسري عنك؟ ومن يدفع عنك هذا العذاب؟ ومن يجعل قبرك روضة من رياض الجنة وليس حفرة من حفر النار؟

أو لست مضطرٌ إليه؟

{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ } [النمل:62]

قلتُ في نفسي أين فراعين الناس؟ أين الجبابرة الذين طغوا في آلاف السنين.

يا إلهي ألا زالوا يُعذبون إلى الآن {وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [القلم: 33]

وقلتُ لنفسي تخيّلي يا نفس ستقفين على أرض المحشر

خمسين ألف سنة {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج:4]

أقف عاري لا أكل لا شرب ويُعذَّبُ الناس وتدنو الشمس من رؤوسهم ويُحرقون بها أشد الإحراق، ويبلغ العرق من الناس حتى يلجمهم إلجاما. ثم تخيلي يا نفس لو أنك دخلتِ جهنم ستحتاجين لتسقطي فيها سبعين سنة، أي مثل عمر الإنسان ما بين ستين وسبعين السنة، فالمسافة من أعلاها إلى أدناها سبعين سنة حتى يصل إلى درك جهنم.

يا نفس ألا تبصرين؟ ألا تدركين؟ ألا تتوبين؟ ألا تُنقذين نفسك؟ إلى متى في الغفلات تلهين؟ أما إنك ستندمين، ستتقطعين ندمًا على كل لحظة غفلتِ فيها عن ذكرِ ربك،

ستقولين {.. رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ..} [المؤمنون: 99,100]

فما عساكِ إن قيل لكِ كلا لن تعودي،

قالت قمتُ من مجلسي مع سماعِ أذان الفجر، صليتُ الفجر وجلستُ أقرأ قليلاً من كتابِ الله الذي كنت قد هجرته منذ رمضان السابق، بقيتُ حتى طلعت الشمس وذهبتُ إلى فراشي كان في قلبي سعادة عظيمة، أحسستُ بها وأنا أمسح دموعي التي نزلت على خدودي، وكأنما تنزلُ مع كلِّ قطرة خطايا ذنوبي، وكأنها كانت تنزل لتغسل قلبي ويطمئنُ

فجعلتُ أقول وأردد {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28]

ومن وقتها عشتُ واللهِ جنة في الدنيا كشأن جنة الأخرة ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلبِ بشر.

لو تشعر بانتكاسة في القلب واللهِ هذا من أثرِ الذنب، الذنوب تُتعب، الذنوب تُقهر، الذنوب عقوبتها سبب تغير أحوالنا، وهي السبب وراء كل بلية ومصيبة.

ما نزل بلاء إلا بذنب ولا يرفع إلا بتوبة.

النبي ﷺ يقول " ويلٌ لأقماع القول " [صحيح الجامع (897)]

تعرف القمع يدخل من هنا ويخرج من هناك

فقلوبنا أصبحت كذلك، الكلام شديد الكلام مُرعب والمفترض أنه يسبب رعشة للقلب ويرجفه وأنه يترك فيك الأثر

تذهب لدفن ميت أو تسمع عن شخصٍ مات من أقاربك أو جيرانك أو معارفك

لا يهزك ولا يغيرك، منذ الثورة ونحن نقول {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } [الرعد:11]

الثورة ماذا غيرت فيك؟ ما الشيء الجوهري الذي تغير فيك {وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ} [التوبة: 118]

كي تقول ليس لي غيرك يا رب ، راجع لك يارب ، ليس لي سواك يا رب، لو أن الذنوب لا تُلقي لها بالا، وتتساهل فيها

نظرة، كلمة، فكل الناس تفعل هذا الكلام، ليس أول ولا آخر، فربك رب قلوب

لو لا أثر لها في نفسك! اعرف أنك مبتلى بعقوبة من عقوبات الذنوب.

هذا الفرق بيننا وبين الصحابة في كلمة واحدة.

هو لو فعل ذنب، شيء نراه صغير جدًا، شيء صغير جدًا هو يرى أنه عمل كبيرة من الكبائر،

نحن نعمل كبيرة من الكبائر ونشعر أنها شيء صغير، كل الناس تفعل ذلك.

شخص يغتاب، الغيبة، يتكلم عن الناس، وتذكر الصفة التي فيه، فلا تقول كلام كذب، فعلاً هذا الرجل فيه الصفة التي تتكلم أنت عليها، لكن أنت تقولها لتثبت أنك أفضل، أو لتشمت فيه في شيء، أو في خصومة بينكما فقلت هذه الكلمة في حقه

ذكرك أخاك بما يكره ، هذه من الكبائر، أتحب أن تأكل لحم أخيك ميتًا.

قال النبي ﷺ " لا يدخل الجنة قتات " [صحيح البخاري]

أي نمام " وإنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير .. – أما أحدهما – فكان يمشي بالنميمة " [صحيح البخاري]

كبيرة من الكبائر

انظروا عندما يتكلم الله سبحانه وتعالى عن أهل الشمال{ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ *وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ *يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ *مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ *هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ *ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ } [الحاقة:25-32]

ماذا فعل يا رب ؟

{إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ } [الحاقة:33]

لم يكن يعظمني، لم يكم يعظم المعاصي التي كان يفعلها في حقي.

{إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ } [الحاقة:33]

لو تشعر بالهوان، تشعر أنك لا قيمة لك، ولا تدري السبب!!

لا تستطيع أن تشعر بإحساس العزة، بإحساس الكرامة، دائمًا ما يُداس عليك.

لو تشعر بإحساس الهوان هذا، اعرف أنَّ هذا والله بسبب ذنب، لأنَّ اللهَ يقول {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}[الحج: 18]

تصوَّر لو أنك سقطتُ من عينِ الله

قل لي بالله عليك

أنت لو سقطت من عين مخلوق صاحب شأن، تكون مصيبة في الدنيا، لا يُأبه لك، لو أنت سقطت من عين المدير، لن يكون هناك علاوة ولا ترقية، وستظل محلك سر، وستعمل بلا جدوى، سقطت من عينه أنت لا تستحق أن تكون كذا.

فكيف بربُّ العالمين!! أخشى أن يكون قد اطلع على بعض ذنوبي فقال اذهب لا غفرتُ لك

سقطت من عينِ الله {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ}

لو تشعر بالذل إعرف إنه بسبب ذنب والله

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا } [فاطر:10]

هو ذليل أمام شهوته، هو أمام المرأة أمام الشهوة أمام المال ذليل، يكون ما شاء الله لا قوة إلا بالله حاله في الحياة يا أرض ما عليكِ مثلي، لكن في الليل يفعل الذب – ذنوب السر، ذنوب الخلوات – يدخل على هذا الموقع الإباحي، يفعل العادة السيئة، يصاحب بنات ويتكلم في التليفونات ويفعل ووو .. ذنوب الخلوات

فذليل أمام شهوته.

تعلم لماذا؟

قال النبي ﷺ والحديث رواه الإمام أحمد وصححه الألباني " وجُعِلت الذلة والصغار على من خالف أمري " يعيش ذليل.

تعلم لماذا؟ لأنه عبد الشهوة

" تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد الخميصة إن أعطي رضي وإن منع سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش " [صحيح البخاري]

لو تشعر بظلمة على القلب، قلبي مغلق، هناك حاجز، لا أدري ما هو واللهِ، أصلي وأقول الأذكار، واقرأ قرآن، وأفعل خير كثير قلبي مغلق عليه ران، عليه حاجز، ظلمة القلب

اعرف أنه بسبب ذنب

{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ} [البقرة:257]

البعد عن ربنا ظلام

قال ابن عباس: " إنَّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسعةً في الرزق، وقوة في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه وظلمة في القلب والقبر ووهنًا في البدن ونقصًا في الرزق وبغضًا في قلوبِ العباد"

أترى كم يُألم الذنب ؟

" إنَّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسعةً في الرزق، وقوة في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه وظلمة في القلب والقبر ووهنًا في البدن ونقصًا في الرزق وبغضًا في قلوبِ الخلق"

لو تشعر أنك تستمع لدروس كثيرة وتتعلم كثيراً، ولا ينفعك هذا العلم، واللهِ بسبب ذنب

شكوتُ إلى وكيعٍ سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

الله يقول {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ}[البقرة: 282]

العلماء قالوا: إذن العكس صحيح الذي لا يتقي الله لا يعلمه الله.

لو تتمنى أن تفعل طاعات كثيرة ، تتمنى أن تكون صائم، قائم، ذاكر، تريد أن تكون قريب من ربنا، تريد أن تقوم بطاعات وعبادات وقربات ومعاملات، تحسن للناس فيُحسِنُ اللهُ إليك، تريد أشياء كثيرة، تريد أن يكون رمضان القادم يكون شهر العتق من النيران حقًا

لكن تجد ما تتمناه لا تُطبقه!، دائمًا أتمنى أن أفعل، أريد أن أختم القرآن ولم أختم بعد، أريد أن أنتهي من كذا في العلم ولم أنتهي، أريد أن أقوم سنة ولا أتخلف ليلة ولم يحدث، أريد أن أصوم صيام داوود أصوم يومًا وأفطر يوم ولم يحدث.

هذا كله بسبب ماذا؟ بسبب ذنب

قال **سفيان الثوري** : " حُرِمتُ قيام الليل خمسة أشهر بذنبٍ أصبته "

هل تدري ما الذنب؟ تتصور سفيان الثوري ما الذنب الذي فعله؟

نظر إلى امرأة مثلاً؟ أم قال كلمة لغو مثلاً، خمسة أشهر، خمسة أشهر لا يستطيع أن يقوم ليلة. ما الذنب الذي أرتكبه؟

قال: مرّ على رجل كان يدعو فقال ما لهذا المرائي؟

الرجل جالس يدعو ويبكي ومتأثر جدًا، فقال أنَّ هذا الكلام لا ينبغي أن يكون أمام الناس ، ما لهذا المرائي؟

قال: فعرفتها

مكث خمسة أشهر يريد أن يعرف ما هو السبب؟ كل ليلة لا يُوفق، كل ليلة لا يُوَفق، كل ليلة لا يُوَفق، إلى أن انتهى إليه الأمر فتذكر هذا الأمر

أنت ما شأنك بغيرك؟ ما أدراك بقلب غيرك؟ لماذا تتهم نوايا غيرك.

تقول على فلان منافق، أو فلان فاجر، أو فلان كذا وما شأنك أنت؟

من ذا الذي يتألى عليّ. أشهدكم أني قد غفرتُ لهذا.

الذي قلت عليه أنه سيء

ما شأنك به؟ اشغل نفسك بعيب نفسك

قال **بكر بن عبد الله المُزني**: إذا رأيت الرجل يُشغل بعيب غيره عن عيب نفسه فاعلم أنه قد مُكِر به

{سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} [الأعراف:182]

أنت مخدوع {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء:142]

اشغلك نفسك بحالك، وفي ذنبك، وفي عيبك، وفي آفاتك، اشغل بها نفسك ودع ذنوب غيرك .

قال ابن مسعود لرجلٍ لا أستطيع قيام الليل – جاءه رجل فال له: أنا لا أستطيع أن أقوم الليل - قال أبعدتكم الذنوب.

قيدتك المعاصي

لو لا تتغير ولا تدري لماذا لا تستطيع أن تتغير، اعرف أن الذي يقف بينك وبين ربنا ذنب.

لو لا تستحي، اعرف أنه بسبب ذنب، لأنَّ النبي ﷺ قال:"إن الحياء والإيمان قُرِنا جميعًا" [صحيح الجامع (1603)]

فإذا وجد الإيمان وُجد الحياء ، وإذا لم يوجد حياء لم يوجد إيمان

"إذا لم تستحي فاصنع ما شئت" [رواه البخاري في صحيحه (6120)]

فتقول للبنت التي تمشي كاسية عارية لماذا؟ تقول أنا حرة.

ونحن في زمن ماذا نقول فيه؟ أنا حر ما لم تضر..

جيد.. أنت لا تضري نفسك، أنت هكذا تفهمين، ولكن الناس..

والشباب الذي نظر إليكِ وبعد ذلك اثتثيرت شهوته ومن الممكن أن يكون فعل أي عمل حرام

هل أنتِ هكذا لم تضريه؟ إذا أين أنا حر ما لم تضر؟

بالله عليكي ألم تستحي من نظر الله إليكِ؟

وأنت وأنت تنظر إليها ألا تعلم أن الله نظره أسبق؟

يراك.. مطلع عليك.. مطلع على سواد القلب..

اعلم أن فقدان بركة الرزق، تأخر الزواج لشاب يريد أن يتزوج أو لفتاة تريد أن تستقر مثل أي فتاة في الدنيا.

إذا ابتليت أنت أيها الأب بعقوق ابنك أو إذا توالت عليك الابتلاءات

إعلم أنه بذنب

{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} [الشورى:30]

اسمع..{وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ} [النحل:112]

عندنا أزمة اقتصادية، عندنا أزمة انفلات أمني، لباس الجوع والخوف بماذا؟

بما كانوا يصنعون؛

ربنا يقول{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}[الأعراف:96]

{ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ}-أي بشرك- {أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} [الأنعام:82]

لو أن أمورك متعثرة، لا تقضى، تتعثر عليه الأمور {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل:10]

كيف أبدأ الطريـــــق ؟!

إذاً ماذا أفعل؟ كيف أتوب؟ كيف أبدأ الطريق؟

أنا عرفت أن الذنوب هي وراء كل بلاء ومصيبة أنا فيها، ماذا أفعل؟

اهـــــدأ واستـــبشر.

أولاً: الذنوب قَدَر، وأنت لست بمعصوم.

هل معنى هذا أن كلنا سنذنب؟ نعم.

وكلنا سنقع في معاصي؟ نعم.

وكل بني آدم خطاء؟ نعم، ولكن خير الخطائين التوابون.

أنت لست معصوما والله يحب منك أن تتوب إليه

{وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا * يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا} [النساء:27، 28]

نحن أذلة ولذلك يحبك ذليل؛ تريد أن تتوب لا تتكبر.

لا تقول لي أن لا أفعل شيئًا، لا تقول لي أن أحسن من غيري، أنا ذنوبي أخف كثيرًا.

لا؛ أول شيء في ثمن التوبة، أول خطوة في طريق التوبة ".. أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي.." [رواه البخاري في صحيحه (6306)]..

أنا يا ربي لست معصومًا.

ألم يقل النبيﷺ كما روى الإمام أحمد في مسنده وصححه الألباني "لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ليغفر لهم" [صححه الألباني في صحيح الجامع (5253)].

أليس في حديث الشفاعة، أن الخلائق ستهرع إلى الأنبياء فيأتون أبا البشر يأتون ادم عليه السلام – الحديث في الصحيحين– فيقولون له اشفع لنا فيقول: "إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي" [البخاري في صحيحه (4712)] [والحديث متفق عليه].

فإذا كان آدم عصى هكذا أمر ذريته.

والنبيﷺ والحديث في صحيح مسلم قال: "كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدركٌ ذلك لا محالة.." [رواه مسلم في صحيحه (2657)] سيخطأ في أي شيء من هذه الأشياء لا محالة، ينظر نظرة هكذا، يمشي خلف فتاة.

العينان تزنيان وزناهما النظر، الأذنان تزنيان وزناهما السمع، سيسمع كذلك كلامًا حرامًا، سيقع في هذه الأشياء.

فإذًا اول شيء انا اريدك ان نستبشر؛ ولكن البشارة تحتاج لعمل. ما هو؟

ما أول كلمة ستقولها؟

نحن نتفق الآن مع بعضنا على الخطوات،

تقول ".. أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي..".

النبيﷺ والحديث في معجم الطبراني – حديث جميل جدًا– وصححه الألباني قال: "ما من عبدٍ مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة أو ذنب هو مقيم عليه لا يفارقه حتى يفارق الدنيا، إن المؤمن خلق مفتنًا توابًا نسيًا إذا ذُكّر ذَكر" [صححه الألباني في صحيح الجامع (5735)].

ما الفرق إذًا بين الفاجر والمؤمن، ما بين الشقي والتقي؟

تقول له يا أخي اتق الله.. يقول ربنا يجعلني من المتقين،

استغفر الله.. أستغفر الله العظيم.

وليس يا أخي اتق الله..يقول كن في حالك، لماذا تتدخل، ربنا يجعلنا من المتقين، كن في حالك وابتعد عنا.

هو بذلك يكابر.

إذًا ما أول شيء؟

أول شيء " أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي ".

ثانيًا: الشيطان سيلعب معك لعبة ظريفة في موضوع الذنوب.

ولماذا تذنب؟

ولماذا جعلك الله تذنب؟

لماذا وقعنا في الذنوب؟

نحن كنا في الطريق السليم. لماذا هذا الموضوع أساسًا؟

لماذا ذنوب وتوبة وهذا الكلام؟

هل تعرف لماذا؟

لكي نعرفه..

لماذا؟

لكي تعرفه.. كيف؟

الله يفرح بتوبة عبده، فهل أنت لا تريد أن تفرح ربنا؟

بالله عليك ألا تريد أن تفرح ربنا؟

يا أخي النبي ﷺ في الحديث يقول: أفضل الأعمال–أحلى شيء في الدنيا تفعله– "سرور تدخله على قلب مسلم" [حسنه الألباني في صحيح الجامع (176)]. مثلاً أنا أعرف أنك مهموم هذه الأيام، وليس معك مال، وحالك كذا، فأتيت إليك وأرسلت لك مال أو شيء، أو أحضرت متطلبات بيتك وأرسلتها لك كهدية، وقلت لك أنهم في البلد أرسلوا لنا أشياء فأرسلت لك.

فعلت لك أي شيء لكي أُسرك، حتى لا تحمل هم.

فهذه أفضل الأعمال عند ربنا.

ماذا لو أنك أنت تدخل السرور على ربنا. ماذا تكون؟

ماذا لو أنكَ الذي تفرح ربنا؟

الله يفرح بتوبة عبده وهو يحب أن يغفر،

سمى نفسه – عد معي الأسماء نحن هكذا سنظل إلى الصباح – اسمه **الغفور**، واسمه **الغفار**، واسمه **التواب**،

سبحانه وتعالى كل هذا متعلقات بماذا؟ متعلقات بموضوع التوبة.

واسمه **العفو**، يعفو عن كثير سبحانه وتعالى كل هذا متعلق بالذنوب والمعاصي التي تفعلها.

حسنًا..ولماذا **غفار وغفور**، لماذا لا يكون اسمًا واحدًا فقط؟

قالوا **الغفور**: هو الذي يغفر الذنوب الكبيرة.

أما **الغفار**: فهو الذي يغفر الذنوب الكثيرة الصغيرة.

استوعبتها؟

غفّار: تفعل ذنب وذنب وذنب وهم صغار ولكن كثير، فهو غفار إذنب وهو يغفر، وتوب وهو يغفر، إذنب واستغفر وهو يغفر ولا تمل.
وماذا عن غفور؟ فهذا فعل مصيبة، أذنب ذنبًا ثقيلاً فهو غفورٌ رحيمٌ سبحانه وتعالى.

فهو يحب ذلك، فلأجل ذلك تقع في الذنب حتى يتعبدك بمعاني تعرف بها من هو.

اسمع هذه – لطيفة من أجمل ما يكون ذكرها ابن القيم في كتاب طريق الهجرتين

قال: وهي سرٌ من أسرار تدبر القرآن،

سورة البروج ربنا ذكر اسمه الودود ثلاث مرات في القرآن، منها المرة التي في سورة البروج، ماذا قال؟

{إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} [البروج:13، 14]

لماذا لم يقل وهو الغفور الرحيم؟ إنها جيدة، إنه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الرحيم،

عندما تفعل ذنب وتعود إليه وتستغفره، يغفره لك.. قال: لا

قال: أن هناك بعض الناس ادعت عن سيدنا داود ادعاء خطأ مليون في المائة..

قالوا عندما سيدنا داود وقعت منه الخطيئة {وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} [ص:24]

فقالوا في أثر من الإسرائيليات–الإسرائيليات المذمومة المتروكة– قالوا: أن سيدنا داود قال له: يارب اغفر لي.

قال: يا داود أما الذنب فقد غفرناه، أما الود فلا يعود.

أنا كنت أحبك قبل الذنب، فأنا سأغفر لك الذنب، لكن بعد هذا الذنب الذي عملته فأنا لم أعد أحبك.

فقال ابن القيم: وهذا أبطل الباطل.

يا أخي هذا كلام خطير، ما هو أنه بعد أن تاب ربنا لا يحبه، فكيف نعيش نحن دون أن يحبنا ربنا؟!!

وكيف والله يحب التوابين، فكيف لا يحبه؟!! هذه واحدة

وأتى لك بهذه الآية، وقال لك ألم تنتبه إلى هذا السر: يُبْدِئُ وَيُعِيدُ و غَفُورُ و وَدُودُ. ماذا يبدئ؟

هو الذي بدأ بالمغفرة، فغفر لك لما استغفرته، ولما عدت للذنب فاستغفرته أعاد عليك المغفرة مرة أخرى

هو يبدئ ويعيد المغفرة، وهو الذي بدأ بالحب، ألم يقل: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة:54]

فهو الذي بدأ بالود فأحببته، فلما عملت الذنب ابتعدت شيئًا ما، فلما عدت وتبت أحبك، ومن الممكن أن تكون درجتك عنده أعلى من درجتك قبل الذنب، أتعلم ماذا يعني هذا ؟

أنا مثلاً رجل لا يفعل الذنوب – لا بالطبع نفعل لكن هذا مثال، أنت أنت لست أنا– أنت رجل طيب ولا تفعل ذنوب

فكم تأخذ من عشرة عند ربنا؟ تسعة من عشرة، أنت هكذا ولي من أولياء الله الصالحين

ففعلت ذنب فكم أصبحت؟ ستة من عشرة مثلاً، فلما بعد ذلك تبت – نقول أنك كنت تأخذ ثمانية فأصبحت ستة–

فأصبحت سبعة، نحن لن نكون مثل قبل الذنب لأن أنت عملت ذنب، ولو وصلنا إلى ما كنا فيه قبل الذنب جدًا تصبح ثمانية

لا.. لو تاب عليك توبة نصوحة تصبح تسعة ومن الممكن أن تصبح عشرة، هل فهت؟

فهذا معنى من المعاني المهمة، لماذا نقع في الذنوب؟

هو يحب أنك تستغفره وتتوب إليه، وسيد الخلق المعصوم ﷺ كان يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم مائة مرة.

خطوات على الطريـــــــــق

لكن نريد قوانين، أخذنا أول قانون، أو أول خطوة، ماذا قلنا؟

1. " أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي ".
2. اعرف لماذا تذنب، حتى تتقرب إليه.
3. إن الله لا يمل حتى تمل.

في الصحيحين؛ " أن عبدا أصاب ذنبا، وربما قال: أذنب ذنبا، فقال: رب أذنبت ذنبا، أو أصبت ذنبا، فاغفر لي، فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا، أو أذنب ذنبا، فقال: رب أذنبت ذنبا فاغفره؟ فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم أعادها الثالثة، فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثلاثا، فليعمل ما شاء "

ما معنى فليعمل ما شاء؟

فليذنب طالما هو يعرف أن الذنب بالعقوبات التي ذكرناها في البداية، وطالما هو ما زال يعظمني، لأنه سيُوفق للتوبة.

لكن ليس فاليذنب أي يفعل ما يشاء.. لا ..

ولكن طالما هو يذنب ويستدرك أمره سريعًا، أي أنك تتوب من قريب.

وأنت تسير غفلت، استحوذ عليك الشيطان، فجعلك تفعل هذا الذنب، تنظر هذه النظرة، فأول ما تنتبه تقول ما هذا الذي فعلته؟ أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، يارب تب علينا يارب، يارب تب علينا.

فتكون أنت هكذا يقظ،

وينتهي الأمر، الذنب أمامه التوبة مباشرة.

إذًا ماذا كانت الخطوة الأولى: أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي.

والخطوة الثانية افهم أنت لماذا تذنب، لأنك عندما تفهم هذا المعنى ستحبه وتتقرب له، افهم لماذا تذنب.

الخطوة الثالثة: إن الله لا يمل حتى تمل. إياك في طريق التوبة .. إياك في طريقك إلى لربنا تأتي كلمة الملل..

أنا عملت الكثير جدًا، منذ فترة وأنا أقف على الباب وأطرقه وليس هناك فائدة.

إياك ولفظ الملل، إن الله لا يمل، البشر يملوا إنما رب البشر لا يمل.

أنت لو مللت إذًا أنت الذي جنيت على نفسك، فلو بلغت ذنوبك عنان السماء

أتعرف ماذا يعني هذا؟

مليارات المليارات، تريليونات، قل أي اسم من هذه الأسماء الثقيلة، واحد أمامه 12 صفر، 15 صفر، أي شيء، لايوجد.. أنا من هنا إلى السماء ذنوب، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرته غفر لك ولا يبالي، لو أتيته بقراب الأرض – ملئ الأرض– قل لي عدد حبات الرمل في الأرض كم تساوي؟

ولن تجد أحسن دولة من الدول التي عندها تقنيات وتكنولوجيا وكل هذه المهارات تستطيع أن تفعل ذلك

قل لي أحد يستطيع يحصي عدد رمال الأرض.

لو على عدد رمال الأرض، لو لقيته بقراب الأرض بملئ الأرض خطايا ثم لقيته لا تشرك به شيئًا، للقيك بقرابها مغفرة

كم أنت كريم يارب، فإن الله لا يمل حتى تمل.

4. لا يوجد في طريق التوبة شيء اسمه يأس، {إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف:87]

فلو قال لك الشيطان: أنت بلغ بك الإجرام إلى حد بعيد، مثل الرجل الذي قتل مائة نفس، كان قتال، مجرم، سفاح، بلطجي من البلطجية هؤلاء الذين يتحدثون عنهم الآن، هذا قاتل مائة، هذا انتهى، فلو أنك جلست أقول لك أحاديث التي تبين عظم قتل النفس، إذًا هذا ذهب في ستين ألف سلامة..مائة.. فلو أنه يأس وقنط إذًا الدنيا انتهت،

لكن ماذا يقول الله؟

{إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}

{..فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ} [الحجر:55، 56]

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}

[الزمر:53]

وشيء يجب أن تفهمه عن ربنا؛ ربنا سمى نفسه القابض الباسط – نحن اليوم لانزال نقول أسماء الله لأن هذا هو المعنى، لأننا نحن لو عرفنا ربنا صحيح لن نذنب– اسمع هذا المعنى، ربنا سمى نفسه القابض الباسط، ما معناها؟

معناها المعطي المانع، يقبض: يمنع، ويبسط: يعطي.

جيد..ربنا يقبض ويبسط.

ماذا قال العلماء؟

قالوا: يقبض – يمنع – حتى لا يتركك مع البسط. ما معنى هذا؟

أي فلو أنه أعطاك أعطاك أعطاك أعطاك..لا تحزن، البشر هكذا، أنا هكذا، وأنت هكذا..

{..إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى} [العلق:6، 7]

لا تقل: لا..أنت رجل تعرف ربنا، وتعلمت العلم، وقرأت قرآن، وتصلي، وتصوم، وتفعل...، فهذه الدنيا لن تؤثر فيك. ومن قال هذا؟

النبيﷺ قال: " ما الفقر أخشى عليكم . ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم . فتنافسوها كما تنافسوها . وتهلككم كما أهلكتهم" [رواه مسلم في صحيحه (2961)] إنها الدنيا..

لأنك لو ظللت تأخذ نِعَم.. نِعَم.. نِعَم .. بالله أقول لك نعمة واحدة وجربها..

لو أنك مجاب الدعوة..جيد..أقسم بالله العظيم فتنة. لماذا؟

أنا مجاب الدعوة، فمثلاً أتى رجل وقال لي: ادعيلي الله يكرمك لأن زوجتي لا تنجب..

يارب ارزق زوجته وارزقه بالغلام الصالح.

رجع البيت وجدها كانت عند الطبيبة وقالت له: أبشر أنا حامل.. إذاً هذا ولي..

ثم أتيت أنت وقلت: والله الأمور هذه الأيام أنا أتاجر فادعي لي، الصفقة الآتية أو ما اشتريه يباع.. فدعوت لك، يارب ارزقه رزق طيب مبارك. فلما عدت وجدت أن المال الذي كان سيأتيك زاد عشرًا..فماذا ستقول على صاحبك هذا؟

سيدنا الولي..وبعد ذلك الناس تقول لا..لا هذا ليس إنسان، هذا يقول الكلمة فتكون، هذا هو المهدي المنتظر.. بعد ذلك..لماذا لا يكون نبي من الأنبياء..بعد ذلك ستجد نفسك لأن الأمور متيسرة معك، كل ما تقول يكون،..

فلو كان هذا، هو كان مجاب الدعوة وهذا كان رزق وكرامة، لكن الكرامة نفسها من الممكن أن تنقلب عليك فتطغى بها..

لذلك هو ماذا يفعل؟ يمنعها شيئًا، فيمنع ويقبض حتى لا يتركك مع البسط.

ويبسط حتى لا يتركك مع القبض..فماذا يحدث؟ الدنيا مغلقة تمامًا تمامًا..

هذه الأيام نسأل الله أن يرزقنا من حيث لا نحتسب، الأحوال صعبة والأمور والتكاليف، وسيدخل علينا الصيف، ويدخل علينا رمضان، والأحوال ونحن لا نجد، ولا أعرف ماذا أفعل، مغلقة تماما.. فماذا يقول؟

{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ –انظر إلى ينشر هذه، تشعر أنها في كل مكان ويَنشُرُ رَحْمَتَهُ – وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ} [الشورى:28].. ربنا يقول في آخر سورة يوسف {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ} ليس هناك فائدة، ظللنا نقول ياجماعة توبوا ولا أحد يريد أن يسمع، يا جماعة تعالوا احضروا دروس ولا أحد يريد أن يستجيب، يا جماعة كفاكم، ولا فائدة، ونفعل بأقصى ما يكون الجهد وليست هناك فائدة، قال: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ –كذب بهم– جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء..} [يوسف:110] لما أغلقت الدنيا تمامًا، يأتي في ظلام اليأس يخرج نور الأمل، في صحراء اليأس أبذر بذور الأمل.

ما رقم أربعة؟ إياك تيأس، لا تيأس من روح الله.

5. عَظِم ولا تحقر، أنت الآن لا تأتي تقول لي أنت تعلم الشيطان شاطر، فنحن نخطأ هكذا، لكنها أخطاء خفيفة..على الهامش..

فأقول لك: تذكر نحن كنا نقول الآن، لا تنظر إلى صِغَر الذنب، لكن انظر إلى عِظَم من أذنبت في حقه.

لذا قال النبيﷺ والحديث في المسند: " إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقررات الذنوب؛ كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ، فجاء ذا بعود، –نزلوا لكي يحضروا حطب لكي يستدفئوا وإن كانوا سيأكلوا شيء، فأتوا هذا بعود، وهذا بعود، وهذا بعود– وجاء ذا بعود، حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يُأخَذُ بها صاحبها تهلكه " [صححه الألباني في صحيح الترغيب (2471)] إذًا ما المعنى؟ إياك تحقر الذنب، لأن تحقير الذنب الصغير يجعله كبير.

قال ابن مسعود: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه –يشعر أن الجبل الذي خلفه سيقع فوق رأسه الآن – وإن الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مر على أنفه. قال أبو شهاب: فوضع يده فوق أنفه وصنع هكذا، هي ذبابة فقط أبعدها بيده فمشت وانتهى الأمر، يا أخي أنت فعلت مصيبة كبيرة، أنت فعلت كذا..أبعدها بيده ثم كأن لم يحدث شيء..

فاستعظِم ولا تحقر..فإياك أن تتساهل في الأمور المشتبهة.

تأتي تقول لي: ياشيخ المعاملة الفلانية، هل يجوز أن أضع مالي في بنك كذا؟

أقول لك: لا.. لا ينفع. لماذا؟ لأن النبيﷺقال: "درهم ربا يأكله الرجل، وهو يعلم، أشد عند الله من ستة وثلاثين زانية " [صححه الألباني في صحيح الجامع (3375)]. فالموضوع خطر..

فلا تقول لي: هناك من قال حلال وهناك من قال حرام، أي أن الأمر مشتبه.

جيد..الأمر المشتبه "من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينيه وعرضه" [صححه الألباني في إرواء الغليل (2075) وفي صحيح الجامع]..

وهذا مال، وما نبت من حرام فالنار أولى به..

فالموضوع ليس فيه تمريج.

عندما أقول لك هذا – انتبه – مجموعة من أهل العلم، وأنا أقول مجموعة من أهل العلم قالوا يجوز، ومجموعة من أهل العلم: المجامع الفقهية وعندنا قرارت من المجامع الفقهية من علماء من مصر، وعلماء من العالم الإسلامي كله، وقرارات وتوصيات معلومة في المجامع الفقهية المعتمدة كمجمع الفقه الإسلامي في مكة وغيره، ولجان كبار العلماء في أكثر من بلدة تقول: لا هذا حرام.

فأنا هكذا تائه..حلال أم حرام، حلال أم حرام، حلال أم حرام ؟؟ ماذا نسمي هذا الأمر؟

أنا تخصصي في الفقه الإسلامي، فأستاذنا في دار العلوم يقول كنا في أحد المؤتمرات وبحضور بعض الشيوخ الذين تكلموا في مسألة المعاملات الربوية، فيقول ونحن في المؤتمر أتينا بإقتصاديين يتكلموا في هذه المسألة، وعلماء وردود، وناس تقول هذه كذا، وناس تقول لا هذه كذا، وناس تقول هذه هي الربا الجاهلية، والثاني يرد عليه ويقول لا ليست هذه التي فيها المعنى.

يقول جلسنا نتكلم ويختلط الكلام..بحث علمي، إلى أن قام شخص من بيننا – قال والله العظيم هكذا– وكأن الحديث لم نسمعه قط، رغم أنه يجري على لسان الغلمان الصغار، قام فقال: أيها الناس أنتم جالسون تشاكلون في ماذا!! أليس الأمر مشتبه، أنتم تقولون حلال، وأنتم تقولون حرام، أليس الأمر مشتبه مابين حلٍ وحرمة. قالوا: نعم.

قال: ألم يقل النبيﷺ "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينيه وعرضه"

ألم يقل النبيﷺ: " فضلٌ في علمٍ خيرٌ من فضلٍ في عبادة، وملاك الدين–الدين كله يُلَخَص في كلمة واحدة– الورع" [صححه الألباني في صحيح الجامع (1727)]

قال: فأسكتنا. سكت الجميع. لأن المسالة في النهاية عندما أنت تفكر ستجدها هكذا،

فإياك والمشتبهات فإنها تخالف معنى التعظيم.

كم شيء أخذناه اليوم؟ خمس خطوات نحو التوبة.

والطريق لازال يحتاج إلى نقاط كثيرة، من الممكن أن يكون لازال أمامنا ثلاثين خطوة أيضًا، في كل مرة سنفعل شيئًا، نأخذها بالتدرج هكذا إلى رمضان بحيث أن يكون هذا خير استعداد لبلوغ شهر العتق من النيران، شهر المغفرة، شهر التوبة.

فأخذنا اليوم خمس أشياء اليوم، الخمس خطوات:

1. " أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي ".
2. افهم لماذا تذنب.
3. لا تمل.
4. لا تيأس.
5. عَظِم ولا تحقر.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل منا ومنكم،

وأن يأخذ بأيدينا وأيديكم إليه أخذ الكرام عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار.

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا مريضًا إلا شفيته، ولا حاجة من حوائج الدنيا إلا قضيتها ويسرتها يارب العالمين.

اللهم إنا مساكينك ببابك فاغفر لهم، فقراءك ببابك فأغنهم

راجوا فضلك ببابك فأعطهم سؤلهم، محبوك ببابك فأحبهم.

اللهم اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعف عنا.

اللهم اغفر وارحم، واعفو عما تعلم، واهدنا وتكرم، سبحانك الأعز الأكرم.

اللهم اغفر لمن لا يغفر له الذنوب إلا أنت، اللهم تب على من لا يتوب عليه إلا أنت.

اللهم اعف عنا، اللهم تجاوز عن سيئاتنا.

اللهم اغفر لنا هزلنا وجِدنا، وخطأنا وعمدنا، وكل ذلك عندنا.

اللهم نسألك مرافقة نبيك محمدٌ في الجنة، اللهم نسألك الفردوس الأعلى في رفقة النبي ﷺ، ونعوذ بك من النار.

اعتق رقابنا من النار، اعتق رقابنا من النار.

خذ بأيدينا للبر والتقوى، ومن العمل ما ترضى.

اللهم اجعل ما قلته وما سمعتموه حجة لنا لا علينا،

اللهم اجعل هذا المجلس مُثقِلاً لموازيننا يوم نلقاك.

اللهم اجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع،

ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها.

ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

قولوا جميعًا

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فضيلة الشيخ/ هاني حلمي